تقديم

مرت الولايات المتحدة، على قصر عمرها، بثلاث صحوات دينية (پروتستانتية) كبرى، كانت الأولى فى نهاية القرن الثامن عشر، والثانية فى القرن التاسع عشر، والأخيرة فى النصف الثانى للقرن العشرين، وما زالت فى قمتها حتى اليوم.

توج الصحوة الثالثة، وصول رئيس إيڤانجليكى - إن لم يكن أصوليًا - إلى البيت الأبيض، وأعيد انتخابه، بفضل الأصوات الإيڤانجليكية التى تراوح تقدير تعدادها، بين ٤٠ إلى ٥٠ مليون صوت.

ولكن الوصول للبيت الأبيض لا يكفى . . . . . فقد تعلم الإيڤانجليكيون أن الرئيس كارتر - والذى واكب انتخابه إعلان عام الإيڤانجليكى فى الولايات المتحدة - لم يلتزم بأجندتهم . . . ولا فعل ذلك الرئيس ريجان الذى أحلوه محل كارتر فى البيت الأبيض، فلم يستطع أن يساير أجندتهم بما يرضيهم . . . ذلك لأن الإيڤانجليكيين لم يؤثروا بما يكفى على الرأى العام، ولم يحوزوا وسائل الإعلام ولا مقاعد الكونجرس بدرجة كافية . . .

تعلم الإيڤانجليكيون درسًا: الرئيس وحده لا يكفى . . .

فأصبحت لهم إمبراطورياتهم الإعلامية التى يشاهدها أكثر من مائة مليون أمريكى . . . وتتجاوز ميزانياتها بلايين الدولارات . . .

وسيطروا على أغلبية الكونجرس! . . .

ليس هذا فقط . . . فقد خططوا لوصول أعضائهم للمحكمة الدستورية العليا . . .

وجاءوا بكبير قضاة مثل رنكوست الذى يقول :

الحائط الفاصل بين الكنيسة والدولة استعارة مبنية على تاريخ سيئ، وأثبتت فشلها كمرشد فى القضاء . . . فيجب التخلى عنها بصراحة وشكل واضح(*) .

كذلك جاءوا بوزير عدل مثل چون أشكروفت .

ولكن من هو الإيڤانجليكى؟

هو پروتستانتى يعتقد فى الآتى :

* الكتاب المقدس، معصوم من الخطأ، ويجب تفسيره حرفيّا .

* يفوز بالخلاص من يؤمن بالمسيح، الذى صُلب - افتداءً للبشر من الخطيئة الأولى - وقام من الأموات بعد صلبه .

* أهمية التحول الروحى فى الحياة، بالميلاد من جديد، أو الميلاد ثانيًا «born again» .

* أهمية التبشير، لتنصير باقى الأمريكيين، وتنصير العالم .

* المجىء الثانى للمسيح، على اختلاف فى متى يجىء ؟ هل بعد أن يتهيأ العالم لذلك، بصلاح العالم - طبقًا لرؤية إيڤانجليكية - أم أنه يأتى لإصلاح العالم بعد معركة هرمجدون، طبقًا لرؤية إيڤانجليكية أخرى ؟

قد يتساءل البعض . . . ولماذا يهمنا ذلك فى مصر والشرق الأوسط ؟؟

وماذا يمكننا عمله، إذا كان ذلك يهمنا ؟

تنحصر الإجابة عن السؤال الأول فى المعتقدين الأخيرين للإيڤانجليكيين . . . .

التبشير

نقتطف ما جاء فى جريدة الواشنطون پوست بتاريخ ٢٣ يونيه ٢٠٠٥م تحت عنوان «الإيڤانجليكيون يبنون قاعدة فى بغداد» :

(*) أصول التطرف - اليمين المسيحى فى أمريكا، صفحة (٢٥٣) - من إصدارات مكتبة الشروق الدولية .

. . . . . هى أول كنيسة معمدانية، من ضمن - على الأقل - سبع كنائس [إيڤانجليكية] جديدة، تم بناؤها فى بغداد فى السنتين الماضيتين. . . .

. . . يتحدى النشاط الإيڤانجليكى - المدعوم من إيڤانجليكيى الغرب وغيرهم - هنا فى [بغداد] الطوائف المسيحية الراسخة، ويثير شكاوى زعماء المسلمين والمسيحيين، الذين يرونه تهديداً للوضع القائم. . . .

. . . . عدد الإيڤانجليكيين هنا [فى العراق] ليس كبيراً. . . . . ربما آلاف قليلة ضمن المسيحيين الذين يقدر عددهم بثمانمائة ألف. . . . والآن يرى قادة الكنائس أن الكنائس الإيڤانجليكية الجديدة تمتلئ، ليس بالكثير من المسلمين المتحولين، ولكن من المسيحيين مثل توفيق [سهيلة توفيق الكاثوليكية الأصل]، الذين يبحثون عن تجربة جديدة فى العبادة. . .

. . . . ويقول رئيس أساقفة الكاثوليك فى بغداد حنا سليمان: إن نيتهم تحويل المسلمين إلى المسيحية، برغم أن المسيحيين هنا لم يفعلوا ذلك. . . . . وفى النهاية، سوف يغرون المسيحيين من الكنائس الأخرى. . . . .

. . . . . خلال الغزو الأمريكى عام ٢٠٠٣م، لم يخف الإيڤانجليكيون الأمريكيون رغبتهم فى مصاحبة القوات الأمريكية. . . . «محفظة السامرى» منظمة الإغاثة الدولية التى يقودها فرانكلين جراهام [ابن بيلى جراهام]، الذى قال عن الاسلام «دين شر وشرير»، ومجلس الإرساليات الدولى لمؤتمر المعمدانيين الجنوبيين، وهما أكبر الطوائف البروتستانتية فى أمريكا، كانا بين الذين أرسلوا البعثات التبشيرية ومساعدات الإغاثة. . .

. . . يخشى بعض العراقيين المسيحيين أن يعكِّر الإيڤانجليكيون الانسجام بين المسلمين والمسيحيين فى العراق(*). . . . .

هرماجدون

طبقًا لتأويل نص رؤيا يوحنا - آخر كتب العهد الجديد - يرى زعماء الإيڤانجليكيين

(*) Http://pqasb.pqarchiver.com/washingtonpost/access/857641421.html

أنها معركة نووية يموت فيها عشرات أو مئات الملايين من البشر(*)، لينجو المسيحيون المخلصون (الإيڤانجليكيون) ومن يتحول للمسيحية من اليهود(**)، وطبعًا كل ذلك حول القدس ومن أجلها.

أما إجابة السؤال الثانى، فذلك ما يحاول الدكتور محمد عارف تحليله، ووضع خطوط رئيسية له، وهو هنا يلقى بكثير من اللوم على المسلمين والحكومات الإسلامية، مع تفاؤله بحوار الحضارات وليس صدامها.

عادل المعلم

ديسمبر ٢٠٠٥م

***

(*) «وجمعت الأرواح الشيطانية جيوش العالم كلها فى مكان يُسمى بالعبرية هرماجدون» الرؤيا ـ ١٦ : ١٦.
«فديست المعصرة بالأرجل خارج المدينة، فانبثق منها الدم وجرى أنهارًا حتى إلى لجم الخيل، مسافة ألف وست مئة غلوة» [نحو ٣٣٠كم] الرؤيا ـ ١٤ : ٢٠.

(**) «لأن الرب نفسه سينزل من السماء حالما يدوى أمر بالتجمع، وينادى رئيس ملائكة، ويبوق فى بوق إلهى، عندئذ يقوم الأموات فى المسيح أولا. ثم إننا، نحن الباقين أحياء، نختطف جميعًا فى السحب للاجتماع بالرب فى الهواء. وهكذا نبقى مع الرب على الدوام» الرسالة الأولى إلى مؤمنى تسالونيكى ٤ : ١٦ ـ ١٧.

obeikandl.com

المقدمة

على الرغم من أننى كنت ولزمن طويل ملاحظًا دقيقًا للمشهد الأمريكى الداخلى على مدى ثلاثة عقود من تدريسى لعلم الاقتصاد، من غير أن يمر يوم تقريبًا دون أن أقتبس أمثلة من الولايات المتحدة وأنا أناقش القضايا الاقتصادية، فلم أتخيل قط أن اهتمامى بالاقتصاد السياسى سوف يقودنى فى يوم ما لكتابة مؤلّف عن أمريكا. لقد بدأ الأمر برمته ببحث علمى بسيط لتحليل العلاقة بين أداء الاقتصاد الأمريكى ونتيجة انتخابات الرئاسة الأمريكية عام ٢٠٠٠م.

نشرت نتائج هذا البحث صحيفة «Intellectual Discourse» فى عددها الصادر فى يونيو عام ٢٠٠١م، وعلى الرغم من أن تلك النتائج قد أجابت عن سؤالى الأولى، فإنها أثارت العديد من الأسئلة الجديدة والمثيرة فى الوقت ذاته. وقد قادنى ذلك لتوسيع مجال بحثى. وخلال تلك الفترة، حدثت تراچيديا الحادى عشر من سبتمبر. لقد كان الأمر مثيراً للإزعاج والألم بالنسبة لى لدرجة أننى لم أستطع التركيز على البحث لفترة؛ لأنه بدا أن كل شىء قد آمنت به وعملت من أجله قد تحطم. ولأننى على معرفة بكل من أصدقائنا الأمريكيين، وزملائى المسلمين، فقد اعتقدت دومًا أنه مع انتشار التعليم والحرية فى العالم الإسلامى، فإن العلاقة بين المجتمعين سوف تنمومع مرور الوقت. وحينما تراءى لى على نحو بطىء ما يتضمنه الحادى عشر من سبتمبر على المدى الطويل، فقد اتضح لى أننى كنت مخطئًا فى هذا الاعتقاد. فقد وجدت أن العلاقة بين العالم الإسلامى والولايات المتحدة (فيما عدا بعض الاستثناءات) لن تطور بشكل ذاتى الحركة بمرور الوقت؛ لأنه برغم أن كلا المجتمعين يتواجد جنبًا إلى جنب من الناحية الزمنية، على المقياس الزمنى للتطور الخلاق للحضارة، فإنهما فى الحقيقة قطبان منفصلان فى العديد من المجالات المهمة. إذا سمح للاتجاهات الجارية بالاستمرار فإن هذا الوضع لا يمكن أن يتحسن.

وبهذا القدر من الفهم، أدركت أن العلاقة بين الحضارتين ستتحسن فقط حينما نبذل جهداً إضافيّا إيجابيّا فى مساعدة الحضارتين لكى تفهم كل منهما الأخرى بشكل أفضل. بكلمات أخرى، هناك حاجة لبناء جسور التفاهم بين كلتا الحضارتين. أعطت وجهة النظر هذه معنى جديداً لبحثى، وشعرت أنه قد يكون بالفعل مفيداً جدّا فيما يتعلق بصلته الوثيقة لمساعدة العالم الإسلامى وفهم موقعه ودوره فيما يخص الولايات المتحدة فى العالم المعاصر.

فى الحضارة الإسلامية المعاصرة، لا يوجد بالكاد أى تراث لدراسة «الآخر». ولأن هذا الكتاب هو من المحاولات الإسلامية المعاصرة القليلة لدراسة أمريكا بشكل علمى، فإننى أخذت على عاتقى عبئًا ثقيلاً فى تحديد المنهج الخاص به ونغمة الخطاب. كان هناك خيار سهل متاح، وهو اتباع طريق المستشرقين، حيث أصبح المنهج الاستشراقى تراثًا غربيّا بارزًا عند التصدى لدراسة « الآخر». على الرغم من ذلك فقد رفضته لأسباب ثلاثة: أنه من وجهة النظر الإسلامية غير أخلاقى وغير عادل، حيث تضرب جذوره فى محاباة موروثة وكراهية «للآخر». وثانيًا، لأنه منهج غير علمى. وثالثًا لأننى أردت أن أبدأ منهجًا علميّا وعادلا بالنسبة لكلتا الحضارتين، منهجًا يطور طريقًا بنائيّا لحل القضايا التى نواجهها بشكل سلمى. آمل أن يتطور هذا المنهج العلمى أبعد من ذلك مع إسهام وعطاء أساتذة آخرين؛ وذلك لأنه يمتلك القوة الكامنة الحقيقية لبناء الجسور بين حضارتينا. ولهذا، فإن هؤلاء الذين كانوا يأملون، بصفتى مسلمًا، أننى سوف أتبنى معياراً قاسيًا لانتقاد أمريكا، سيصيبهم الإحباط. بالإضافة لذلك، حاولت أيضاً أن أقوم بتعريف المجالات التى يظهر فيها ضعف الحضارة الإسلامية فى فهم المجتمع والنظام الأمريكى، مسببة بذلك مشكلات لنفسها. إننى لا أدعى امتلاك معرفة غير محدودة، ومن المحتمل أن لا يتفق معى بعض الأشخاص. ولذلك، إذا أخطأت فى بعض الأحيان فى تفسيرى أو فى عرضى للحقائق، فسوف أكون ممتنًا لمن يقوم بتزويدى بالمعلومات الصحيحة، حيث إنه من المطلوب من كلّ منا أن يبذل جهداً فى تصحيح الخطأ. إن هذا كفيل بأن يجعلنا نعيش فى عالم أفضل.

أنتهز هذه الفرصة لأشكر الأستاذ ظفر أفاق أنصارى، المحرر السابق لصحيفة الخطاب الفكرى «Intellectual Discourse»، والأستاذ ظفر إسحاق أنصارى، المدير العام لمعهد البحوث الإسلامية فى إسلام آباد، اللذين قاما بتشجيعى لاستكمال هذا

البحث. والدكتور سعيد م. سيد رئيس الجمعية الإسلامية لشمال أفريقيا، الذى أكد أيضا على أهمية هذا العمل. كما أننى أدين بالشكر لزملائى الدكتور مهد أسلام حنيف والدكتور إشتياق حسين، اللذين راجعا فصولاً متنوعة وأمدانى بتعليقاتهما. كما أتوجه بالشكر أيضًا لتفهم ومساندة الأستاذ الدكتور منصور حاج إبراهيم، دكتورة رقية ألافى، الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن، والدكتور ماليا سليمان، وكل أعضاء كلية الاقتصاد وعلوم الإدارة، بالجامعة الإسلامية الدولية بماليزيا. كما قام الأستاذ الدكتور محمد كمال حسن عميد الجامعة بتشجيعى، وعبر عن اهتمامه بنشر هذا العمل. إننى أيضًا مدين بالشكر للسيد عدنان هولدن لتحريره هذا الكتاب، على الرغم من أننى أضفت الكثير من النصوص بعد تحريره للكتاب، ولهذا إذا كان هناك أى ضعف فإنه يرجع لى وحدى. كما أعترف بامتنان بفضل المساندة المالية لهذا العمل من مركز البحوث بالجامعة الإسلامية الدولية بماليزيا. لقد كنت محظوظًا أيضًا بعملى مع أمين الإسلام، خريج قسم الاقتصاد، وهومساعد باحث كفء يمكن الاعتماد عليه، وقد بذل مجهودًا فى جمع ومعالجة البيانات. إن المساعدة التى قدمها لى خريجو قسم العلوم السياسية أزاهان أزاد وسمولو إديب كانت ذات أهمية بالغة. وبأخذ مسئولياتى فى حقل التدريس والتزاماتى الإدارية فى الاعتبار، فإن العمل لم يكن من الممكن إنجازه سوى بالإدارة القديرة لقسمى التى قام بها مساعدى محمد عبد اللطيف، والذى تحمل بشكل إيجابى عددًا من المسئوليات. لقد كنت بالفعل محظوظاً بعملى مع حاج ب. ك كويا كوتيو وفريقه، ومن بينهم فايز. ج. فتوحى، الذين قدموا لى خبرتهم المهنية والتى جعلت من عملية النشر كلها أمرًا ميسورًا بالنسبة لى. وحيث إن الكتاب سيقدم فى الاجتماع الواحد والأربعين للجمعية الإسلامية لشمال أمريكا (إسنا) الذى سينعقد فى شيكاجو فى الفترة من ٣-٦ سبتمبر ٢٠٠٤م فإننى أعجل بدفعه إلى المطبعة. إن كان هناك أوجه عدم كفاية، فإنى آمل أن يغفر لى القارئ للسبب الذى ذكرته. إن أى خطأ أوإغفال، على الرغم من ذلك، قد تم بشكل غير متعمد، وعلى مسئوليتى الخاصة.

محمد عارف

الجامعة الإسلامية فى ماليزيا

e-mail: arif 2100 @yahoo.com